مجلة المختار للعلوم الإنسانية 30 (1): 166-188، 2015

Research Article Open Access

النشاط التجاري في واحة جالو خلال القرن التاسع عشر

محمد محمود محمد عبيد الله
قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/6g75nh63

المستخلص : تتناول هذه الدراسة نشاط التجارة في واحة جالو خلال القرن التاسع عشر. تعد واحة جالو جزءًا من مثلث الواحات الشرقية ولها دور استراتيجي في ربط القوافل التجارية بين بنغازي ووادي والكفرة. تعتبر التجارة عبر الصحراء من أهم العوامل الرئيسية في حياة سكان الواحات الصحراوية وشمال تشاد. يلعب موقع واحة جالو الجغرافي المميز دورًا بارزًا في تنشيط النشاط التجاري، حيث ترتبط بشبكة من الطرق الرئيسية وتعمل كحلقة وصل بين القوافل التجارية المارة في المنطقة. يستعرض البحث تأثير التجارة على الاقتصاد المحلي في الواحة والدور الذي يلعبه التجار المحترفون في تعزيز الحركة التجارية.

الكلمات المفتاحية: واحة جالو - التجارة - القرن التاسع عشر - القوافل التجارية

Commercial Activity in Jalo Oasis during the 19th Century

Abstract: This research examines the commercial activity in Jalo Oasis during the 19th century. Jalo Oasis is part of the Eastern Oasis Triangle and plays a strategic role in connecting trade caravans between Benghazi, Wadi and Kufra. Trans-Saharan trade was one of the key factors in the lives of the inhabitants of the desert oases and northern Chad. The unique geographical location of Jalo Oasis has a significant impact on stimulating commercial activity, as it is connected to a network of main roads and acts as a link between passing trade caravans in the region. The research explores the impact of trade on the local economy in the oasis and the role played by professional traders in enhancing commercial movement.

Keywords: Jalo Oasis - Trade - 19th Century - Trade Caravans

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة:

تقع واحة جالو ضمن مثلث الواحات الشرقية (أوجلة- جالو- جخرة)، فيما يعرف أيضاً بواحات الجنوب البرقي، وتبعد جالو 30 كيلو متر في الجنوب الشرقي من واحة أوجلة، وحوالي 30 كيلو متر جنوب واحة جخرة. وهي تبعد حوالي 400 كيلو متر جنوب مدينة بنغازي التيكانتتمثل حاضرة الاقليم خلالالقرنالتاسع عشر.[1]

إن هذا الموقع الجغرافي المهم الذي كانت تتمتع به واحة جالو كان له أثر بارز في نشاطها التجاري خلال القرن التاسع عشر، إذ جعلها هذا الموقع الاستراتيجي ترتبط بشبكة كبيرة من الطرق الرئيسية والفرعية، فكانت تمثل حلقة وصل بين القوافل التجارية المارة بين بنغازي في الشمال وواداي (شرق تشاد) في الجنوب من جهة، وبين القوافل التجارية القادمة من الكفرة في الجنوب وفزان في الجنوب الغربي إلى مصر في الشرق من جهة أخرى.

لعبت التجارة عبر الصحراء خلال القرن التاسع عشر دوراً في غاية الأهمية بالنسبة لشعوب وجماعات ساحل البحر المتوسط والواحات الصحراوية، لقد كانت تشكل أحد أهم العوامل الرئيسية لحياة السكان في واحات الجنوب البرقي، وفي شمال تشاد إلى حد ما. في ظل الظروف الصحراوية الصعبة في جالو، وفي ظل وجود تجار محترفين مثلالمجابرة، لعبتالتجارة دوراً رائداً في الحياة الاقتصادية في الواحة.[2]

عند بداية القرن التاسع عشر تم فتح طريق جديد[2] مباشر يربط وادايفي الجنوب مع بنغازي في الشمالعبرواحة جالو، وقد قلص هذا الطريقالمسافة الطويلة التيكان تجار برقة يضطرون إلىقطعها عبرالتوجه غرباً إلىمرزقللوصول إلىبرنو وواداي. ومنذ ذلكالوقتوحسبشهادة الرحالة الألمانيناختيجال، أصبحتتجارة الساحلالشمالي منبرقة مع وادايفي معظمها في أيديالتجار المجابرة سكان واحة جالو.[3] وفيمنتصف القرنالتاسع عشرأصبحتجالو، بفضل نشاط تجارها، منأهم المحطاتالتجارية لتجارة القوافل،وقد ذكر الرحالة البريطانيهاملتونعندزيارته لمنطقة الواحاتعام 1852 أن

---

[1](؟) عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص ص 72- 76.

[2]) Glauco Ciammichella, **Libyens et Francais au Tchad (1897–1914): LaConfrerie Senoussie et le Commerce Transsaharien**, Editions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1987, P. 29.

[2](؟) يشير دينيس كورديل إلى أن اكتشاف طريق بنغازي- واداي جاء بمحض الصدفة على يد تاجر مجبري من واحة جالو اسمه (شحيمه)، فبينما كان هذا مسافراً من جالو إلى مرزق بنية الوصول إلى واداي، ظل الطريق، وبعد تيه استمر لعدة أيام، وجده بعض أفراد قبيلة البديات في شمال تشاد وحملوه إلى بلاط سلطان واداي، الذي استغل قصر المسافة على هذا الطريق المباشر، وبدأ باستعماله، كما سوف نرى لاحقاً. انظر:
Dennis D. Cordell, **Eastern Libya, Wadai and the Sanusiya: ATariqa and a Trade Route**, (in): The Journal of African History, Cambridge University press, Vol.18, No.1, 1977, P. 22.

[3](؟) جوستاف ناختيجال، **الصحراء وبلاد السودان**، ت: عبد القادر مصطفى المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007، مج1/ ص 249..

الوضع الاقتصادي في جالو كان أفضل بكثير منه في أوجلة، وذلك بسبب النشاط التجاري الذي كان يمارس من قبل " جميع سكان الواحة ".[4]

خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر شهدت جالو أوج مجدها التجاري، خاصة بعد انتقال السيد المهدي السنوسي إلى الكفرة، حيث كان ذلك يمثل فاتحة عصر جديد في تاريخ السنوسية، وتاريخ تجارة القوافل بين مناطق السودان الأوسط وساحل البحر المتوسط، حتى أصبح الطريق الوعر الخالي من الماء بين بئر (بو الطفل) بالقرب من جالو وبئر (الزيغن) شمال الكفرة ترتاده القوافل التجارية بكثرة، وبلغت الحركة التجارية في ذلك الطريق حداً قيل فيه أنه كان في وسع المرء أن يسير نصف يوم من أول القافلة إلى آخرها.[5]

وبناء على ما تقدم فإن هذا البحث سوف يسلط الضوء على النشاط التجاري في واحة جالو خلال القرن التاسع عشر من خلال المحاور التالية:

أولاً: أسباب انتقال مركز التجارة من أوجلة إلى جالو خلال القرن التاسع عشر.
ثانياً: نشاط واحة جالو في حركة التجارة الداخلية.
ثالثاً: دور واحة جالو في حركة التجارة الخارجية.
رابعاً: أبرز التجار المجابرة خلال القرن التاسع عشر.

أولاً: أسباب انتقال مركز التجارة من أوجلة إلى جالو خلال القرن التاسع عشر:

إن ما دعانا إلى مناقشة أسباب انتقال التجارة من أوجلة إلى جالو، هو أن الواحة الأولى كانت تهيمن على تجارة القوافل في صحراء برقة منذ أقدم العصور، وظلت كذلك حتى نهاية القرن الثامن عشر، فقد ذكر الرحالة الألماني هورنمان الذي زار أوجلة في عام 1798 أن القوافل التجارية التي كانت تأتي من القاهرة إلى مرزق خلال هذه الفترة كانت تحتوي على عدد كبير من التجار الأواجلة.[6] غير أنه مع بداية القرن التاسع عشر أخذ النشاط التجاري لواحة أوجلة يتقلص[7] تدريجياً لصالح واحة جالو وتجارها المجابرة الذين بدأوا يسيطرون بالتدريج على تجارة القوافل الصحراوية. وما إن جاء منتصف القرن التاسع عشر حتى أصبحوا من أبرز تجار القوافل في عموم الصحراء، وإلى جانب الغدامسية يعتبرون أشجع التجار وأكثرهم مقدرة على السفر إلى المناطق الصحراوية البعيدة.[8]

---

[4] (؟) جيمس هاملتون، **جولات في شمال أفريقيا**، ت: المبروك محمد الصويعي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص ص 211- 212.

[5] (؟) أحمد محمد حسنين، **في صحراء ليبيا**، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت، ج1/ ص ص 57، 58، 91.

[6] (؟) فردريك هورنمان، **يوميات الرحالة فردريك هورنمان: الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1798**، ت: مصطفى محمد جودة، دار الفرجاني، طرابلس، 1993، ص ص 25، 58، 59.

[7] (؟) على الرغم من تقلص دور التجار الأواجلة في الصفقات التجارية وتمويل القوافل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أنهم احتفظوا بجانب مهم من ذلك النشاط تمثل في تربية الإبل وتأجيرها لتجار القوافل الصحراوية، خاصة أن أوجلة تتوفر فيها مراعي للإبل، وبعض الأنواع الرديئة من التمور، والتي كانت تشكل علفاً لتلك الإبل. انظر: غيرهارد رولفس، **رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية**، ت: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002، ص ص 210- 211.

[8] (؟) المصدر السابق، ص 210.

لاشك أن هناك أسباب محددة أدت إلى هذا التحول في مركز النشاط التجاري من أوجلة إلى جالو. فقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر تغيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية مرت بها منطقة واحات الجنوب البرقي، كان لها أثر بارز في انتقال السيطرة التجارية من أيدي التجار الأواجلة في أوجلة إلى التجار المجابرة في جالو.

بالنسبة للأسباب الاقتصادية التي ساهمت في تحول التجارة من أوجلة إلى جالو، فهي تتعلق بافتتاح طريق برقة- واداي المباشر في الفترة ما بين عامي (1809- 1810) على يد تاجر مجبري من جالو يدعى (شحيمة)، حيث أشارت بعض المصادر أن الصدفة لعبت دوراً كبيراً في اكتشاف وفتح ذلك الطريق، ففي أثناء سفره من جالو إلى مرزق لمواصلة طريقه إلى واداي عبر الطريق المتبع في ذلك الوقت، ضل شحيمة الطريق، وانحرف نحو الجنوب، وتاه في الصحراء لعدة أيام، ثم وجده بعض أفراد قبيلة البديات ودلوه إلى واداي عن طريق أوجانقا، وبمجرد وصوله إلى بلاط عبد الكريم صابون (1803- 1813) سلطان واداي، اقترح شحيمة فتح طريق مباشر إلى بنغازي عبر الكفرة وجالو وأوجلة، وبما أن السلطان صابون كان في صراع مع جارتيه دارفور في الشرق وبرنو في الغرب، فقد كان يتطلع إلى أي ممر إلى الشمال يجنبه الحصار التجاري الذي كانت تفرضه تلك القوتين، لذلك وافق على تسيير قافلة بقيادة شحيمة وبمساعدة مرشدين من البديات، ونجحت القافلة في آخر المطاف في الوصول إلى بنغازي في الشمال.[10] وهذا بلا شك ساهم كثيراً في تعزيز دور التجار المجابرة على هذا الطريق،وفيعلاقاتهم التجارية مع سلاطين واداي،كما سوف نلاحظ لاحقاً، وبالتالي ساهم ذلكفي بروز جالو كمركز تجاري مهم في منطقة الواحات.

أما فيما يتعلق بالأسباب السياسية التي ساهمت في تحول التجارة من أوجلة إلى جالو، فهي تتمثل في انتقال مركز الادارة والحكم في منطقة الواحات (أوجلة- جالو- جخرة) من أوجلة إلى جالو مع نهاية حكم يوسف باشا القرمانلي (1795- 1832)، على إثر حادثة مقتل الشيخ إبراهيم الفضيل الأوجلي، الذي كان يحكم هذه الواحات باسم القرمانليين، على يد المجابرة.[9]

في عام 1819 ظهرت شخصية إبراهيم الفضيل من عشيرة السباخ الأوجلية، كحاكم محلي قوي لمنطقة الواحات، وقد عرف بالقسوة والعنف في حكم تلك المنطقة، وكان أحد أهم أسباب وصوله إلى السلطة هو الدعم الذي قدمه له يوسف باشا القرمانلي، إذ تشير المصادر إلى أن إبراهيم قد طلب المساعدة من الباشا القرمانلي في بداية القرن التاسع عشر، لاخضاع قبيلة الزوية التي تعرف بقسوتها وسطوتها في منطقة الواحات، وكذلك لاخضاع المجابرة الذين كانوا ينافسونه على التجارة التجارة في تلك المنطقة. ويبدو أنه بسبب تمرد هاتين القبيلتين الأخيرتين ضد حكم الأسرة القرمانلية، فقد استجاب يوسف باشا لطلب الشيخ إبراهيم الفضيل، وذلك لخدمة مصالح القرمانليين الاقتصادية في المنطقة، خاصة أن منطقة الواحات كانت تمثل محطة تبادل تجاري بين مصر وفزان من جهة، وبين برقة ومناطق السودان من جهة أخرى. وهكذا دعم يوسف القرمانلي الشيخ إبراهيم بحملة عسكرية في عام 1819 لتقوية نفوذه في المنطقة، واعطيت له الأوامر بحبس تجار المجابرة والزوية القادمين من السودان ومن مصر

---

(10) Dennis D. Cordell, Op. Cit, P. 24.

9(؟) جيمس هاملتون، المصدر السابق، ص 224.

ومصادرة بضائعهم وعبيدهم لحساب الباشا،[12] وهذا ربما بسبب رفضهم أو تهربهم من تسديد بعض الضرائب والرسوم السابقة، وإلا فليس هناك ما يبرر هذه الاجراءات الصارمة.

على أي حال فقد نجح الجيش القرمانلي في اخضاع هذه القبائل التي أصبحت تحت سلطة حاكم أوجلة الشيخ إبراهيم الفضيل، والذي حكم سكان الواحات بالقوة والعنف، بل إن إبراهيم دخل في صراع حتى مع أفراد قبيلته من عشيرة السراحنة الأوجلية، واستغل قوته السياسية ودعم القرمانليين له في فرض سيطرته على الأواجلة والمجابرة والزوية، واستحوذ على أراضي هذه القبائل ونخيلها في كل من أوجلة وجالو وجخرة.[13]

لقد أدى تسلط الشيخ إبراهيم على أراضي قبائل هذه الواحات إلى تذمر وحقد رجال قبيلة المجابرة بجالو، الذين قرروا التخلص من حكمه، فلجأوا إلى يوسف باشا القرمانلي، خاصة وأن علاقة المجابرة بالحكومة القرمانلية قد شهدت تحسناً بسبب علاقاتهم التجارية مع طرابلس، وأيضاً بسبب اسهامهم في تمويل خزينة الباشا من خلال الضرائب والرسوم الجمركية. لذلك فقد وافق يوسف باشا على التخلص من حكم الشيخ إبراهيم الفضيل، فقام المجابرة بقتله. وبذلك انتقلت سلطة الواحات إلى شيوخ المجابرة، وانتقل مقرها إلى واحة جالو منذ تلك الحادثة.[14] الأمر الذي أدى بالتالي إلى انتقال مركز النشاط التجاري إلى واحة جالو.

أما بالنسبة للمتغيرات الاجتماعية التي عززت من نشاط التجار المجابرة في جالو على حساب تجار أوجلة، فهي تكمن في ظهور الحركة السنوسية على مسرح الأحداث في برقة، وارتماء المجابرة في أحضانها، وارتباطهم بعلاقات قوية معها، خاصة وأن السنوسية كانت تشكل قوة دينية واجتماعية وتجارية كبيرة لها مكانتها بين قبائل واحات برقة، وبالتالي أصبح المجابرة لهم هيبتهم ومكانتهم بين القبائل الأخرى، خاصة وأن أغلبهم كان ينتمي لهذه الحركة، والبعض منهم كان يتاجر لحساب شيوخ ورجالات السنوسية.

ثانياً: نشاط واحة جالو في حركة التجارة الداخلية:

ارتبطت واحة جالو بشبكة من الطرق الداخلية التي كانت تغطي معظم الأراضي الليبية من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب. وفي أحيان كثيرة فإن هذه الطرق الداخلية تمثل في الأصل جزءً من الطرق الرئيسية العابرة للصحراء، وكلنت جالو مرتبطة ببعض الأسواق والمراكز التجارية الداخلية مثل بنغازي، ومرزق، والكفرة. وتجدر الاشارة إلى أن السلع التجارية التي يتم تبادلها بين واحة جالو وهذه الأسواق المحلية لا تقتصر على السلع والبضائع المحلية، بل تشمل أيضاً بضائع مستوردة من واداي ومصر أو من أوروبا.

---

(12) John Mason, **Desert Strongman in the East sahara 1820 A Reconstruction of local power in the Region of Augila Oasis**,(in):

المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، العدد 6، 1976، ص ص 182-183.

(13) Ibid, PP. 183- 185.

(14) Ibid, P. 186.

لا شك أن بنغازي كانت تمثل أهمية كبيرة للتجار المجابرة في جالو، وغيرهم من تجار برقة خلال القرن التاسع عشر، حيث كانوا يتزودون من أسواقها بكل ما يحتاجونه من السلع الغذائية مثل السكر والشاي، بالاضافة إلى الملابس، والأدوات والأواني المنزلية، [10] فضلاً عن الملح الذي يعد من أهم المنتجات الضرورية التي تزود بها سكان الدواخل من أسواق بنغازي، وكذلك الأواني الفخارية، والمصنوعات الجلدية.[16] هذا بالاضافة إلى الأسلحة ومسحوق البارود الذي كان يباع بأسعار مرتفعة إلى عرب الدواخل ويتم تهريبه إلى بنغازي سراً من قبل التجار المالطيين نظراً لسوء الادارة التركية وتفشي الرشوة والفساد بين موظفي الجمارك.[11]

لقد ارتبط التجار المجابرة بعلاقات تجارية وثيقة مع أسواق بنغازي، فكانوا يسافرون إليها بصفة مستمرة، ويجلبون معهم السلع المستوردة من دول السودان، بالاضافة إلى أنواع من التمور الجيدة التي تشتهر بها منطقة الواحات، ويبيعونها في أسواق بنغازي، ويحملون في مقابلها المؤن والبضائع التي يحتاجونها مثل القمح والشعير، والعسل، بالاضافة إلى بعض رؤوس الأغنام والماعز، والسمن والزبد.[12]

ومن خلال الإطلاع على بعض الوثائق الموجودة بدفتر تجاري خاص بأحد كبار التجار المجابرة[13] في واحة جالو، يتبين أن أهالي هذه الواحة كانوا يعتمدون على أسواق بنغازي اعتماداً كبيراً في الحصول على الكثير من السلع والبضائع التجارية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فقد ذكرت إحدى وثائق الدفتر المؤرخة في عام 1882 أن التجار المجابرة كانوا يجلبون من أسواق بنغازي كثيراً من السلع الغذائية، مثل: السكر والشاي والقمح والشعير والأرز والعسل والسمن والشحم واللحم والقرنفل والزنجبيل واللوز والزبيب والعدس والزيت وكذلك الحطب والفحم والصابون، كما كانوا يجلبون بعض الملابس مثل: الجرود والعباءات وأحزمة الحرير والطواقي (القبعات) بالاضافة إلى بعض أنواع الأقمشة.[14]

وعلى الرغم من منع استيراد الأسلحة والبارود من قبل السلطات العثمانية، فإن وثائق الدفتر التجاري المذكور أشارت إلى أن التجار المجابرة كانوا يجلبون بعض

---

[10](?) محمد مصطفى بازامة، **بنغازي عبر التاريخ**، دار ليبيا، بنغازي، 1968، ص ص 281- 282؛ كالوجيرو بيازا، **إحصاءات عن تجارة بنغازي خلال عام 1828**، ت: محمد مصطفى الشركسي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية والعشرين، العدد الأول، 1999، ص 16.

[16] E. E. Evans Pritchard, **The Sanusi of Cyrenaica,** Clarendon Press, Oxford, 1949, P. 44.

[11](?) فرانشيسكو روفيري، **عرض للوقائع البرقاوية – التاريخ الكرونولوجي لبرقة (1551- 1911)**، ت: إبراهيم أحمد المهدوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003، ص 122.

[12](?) جان ريمون باشو، **رواية رحلة إلى مرمرة وقورينه وواحتي أوجلة ومرادة،** ت: مفتاح عبد الله المسوري، دار الجيل، بيروت، 1999، ص ص 221- 222؛ F.Minutilli, **LA Tripolitania**, Fratelli Bocca Editori, Torino, 1902, P. 340.

[13](?) هو التاجر (الحاج محمد فتيتة المكيسري) أحد كبار التجار المجابرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين، عرف بتجارته الواسعة مع واداي ومصر. انظر: Glauco Ciammichella, Op. Cit, P. 36.

[14](?) دفتر خاص بالتاجر محمد فتيتة (جالو)، وثيقة توضح سلع تجارية مجلوبة من بنغازي إلى جالو، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.

الأسلحة والبارود وقطع غيار الأسلحة من أسواق بنغازي، ويبدو أنها كانت تدخل البلاد عن طريق التهريب، خاصة وأن أسعارها كانت مرتفعة جداً وتحقق أرباحاً خيالية.[15]

ويتضح من خلال وثائق الدفتر التجاري السابق إرتفاع أسعار بعض أنواع السلع التجارية في أسواق بنغازي، فقد وصل سعر أوقية الشاي (الأوقية تعادل 32 جراماً) إلى 75 قرشاً عثمانياً، ويرجع ذلك إلى رواج هذه السلعة في أسواق دواخل برقة والمناطق الأفريقية، خاصة أنها تعد من السلع التي يتم إعادة تصديرها إلى أفريقيا. كما أن صاع الشعير (يعادل 3 كيلو جرام) وصل إلى أربعين قرشاً، وقد يكون ذلك راجعاً إلى قلة محصول الشعير في تلك السنة، فمن المعروف أن أسعار المنتجات الزراعية كانت تتأثر بحسب موسم الإنتاج الزراعي، وكمية سقوط الأمطار. كذلك فإن أسعار البنادق قد وصلت إلى 200 قرش للبندقية الواحدة، وهذا بالتأكيد جاء نتيجة دخولها إلى البلاد عن طريق التهريب.

على أي حال فإن دور التجار المجابرة في التجارة مع بنغازي لم يقتصر على ما يجلبونه من أسواقها من سلع، بل كانوا في الوقت نفسه يجلبون إليها سلعاً متعددة، ففضلاً عن تمورهم المشهورة كانوا يحملون إلى أسواق بنغازي بضائع مستوردة من سلطنة واداي، مثل ريش النعام، وسن الفيل (العاج)، والجلود، والإبل، والرقيق.[16]

على الرغم من أن بنغازي كانت تمثل أهم سوق بالنسبة للتجار المجابرة، إلا أن نشاطهم في التجارة الداخلية لم يقتصر على أسواق بنغازي فقط، بل امتد أيضاً إلى مرزق في الجنوب الغربي، فمن المعروف أن واحات برقة كانت تمثل حلقة وصل بين منطقة فزان وأسواق بنغازي في الشمال، وأسواق مصر في الشرق، خاصة قبل افتتاح الطريق المباشر بين بنغازي وواداي، حيث كانت قوافل التجار المجابرة تضطر إلى عبور واحات فزان في طريقها إلى أسواق السودان الأوسط والغربي، لذلك فإن التجار المجابرة كانت لهم علاقات تجارية نشطة مع واحات فزان، خاصة مرزق، لكن بعد فتح طريق بنغازي- واداي المباشر في بداية القرن التاسع عشر تقلصت التجارة مع فزان وأصبحت أقل شأناً بالنسبة للتجار المجابرة، وذلك لأن البضائع السودانية التي كانوا يجلبونها عن طريق فزان أصبحت تجلب من أسواق واداي وبرنو مباشرة بتكاليف أقل وعبر طريق أقصر. رغم ذلك كانت قوافل التجار المجابرة تضطر أحياناً إلى استعمال طريق فزان غير المباشر، خاصة عندما يتعطل طريق واداي المباشر بسبب قطاع الطرق والنزاعات القبلية، مثلما حصل في الفترة ما بين (1820- 1835)، وكذلك في الفترة ما بين (1842- 1858).[23]

مهما يكن من أمر هذا التقلص في حجم النشاط التجاري مع فزان، فقد كانت تربط واحة جالو علاقات تجارية جيدة مع مرزق، حيث كان التجار المجابرة يحملون إليها السلع التجارية الواردة من بنغازي عبر البحر أو من مصر مثل العباءات والجرود، وبعض أنواع الأقمشة والحرير، ويجلبون من فزان البضائع الواردة من أفريقيا، مثل الرقيق، والعاج،

---

[15](؟) الدفتر السابق، الوثيقة السابقة.

[16](؟) الدفتر السابق، وثيقة توضح كمية من العاج وريش النعام المجلوب من واداي، بتاريخ 1297هـ/ 1880م؛ وثيقة توضح بعض البضائع المجلوبة من واداي، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.

[23] Dennis D. Cordell, Op. Cit, PP. 23-24.

وريش النعام، لتسويقها في أسواق بنغازي ومصر. ومما يدل على استمرار نشاط التجار المجابرة مع مرزق خلال القرن التاسع عشر، أن بعض هؤلاء التجار استقروا في مرزق وأصبحوا يمثلون جزءاً من تركيبتها السكانية.[17]

خلاصة القول فإن جالو، بفضل موقعها الجغرافي وبفضل نشاط تجارها المجابرة، لعبت دوراً مهماً في حركة التجارة الداخلية، خاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث كان التجار المجابرة يلعبون دور الوسيط التجاري بين بنغازي وواحات برقة وواحات فزان. والواقع إن هذا النشاط التجاري الداخلي الذي كان يمارسه التجار المجابرة يعد جزءاً من نشاطهم الأكبر في حركة التجارة الخارجية مع بلدان السودان الأوسط ومصر.

ثالثاً: دور واحة جالو في حركة التجارة الخارجية:

لعبت واحة جالو دوراً مهماً في حركة التجارة الخارجية خلال القرن التاسع عشر، وبفضل موقعها الجغرافي كانت تمثل نقطة تقاطع لعدد من الطرق التجارية العابرة للصحراء، فكانت القوافل التجارية التي تنطلق من أسواق بنغازي في اتجاه واداي تمر عبر واحة جالو ذهاباً وإياباً، كما كانت جالو تمثل محطة استراحة (ترانزيت) للقوافل التجارية القادمة من برنو وواداي في اتجاه الأسواق المصرية. ومن هنا فقد لعب التجار المجابرة دوراً أساسياً في التجارة عبر هذه الطرق، سواء بصفتهم تجار، أو مرشدين (أدلاء)، أو مستأجرين للجمال. لذلك سوف نحاول تسليط الضوء على الحركة التجارية بين جالو وواداي من جهة، وبين جالو ومصر من جهة أخرى.

لقد كانت الحركة التجارية عبر طريق بنغازي- واداي تمثل أهمية كبيرة بالنسبة للتجار المجابرة، إذ يعد هذا الطريق من أهم الطرق التجارية في برقة، بل كان يمثل العمود الفقري للحركة التجارية في الاقليم خلال القرن التاسع عشر. وكان يعرف لدى بعض الباحثين بالطريق الشرقي أو طريق برقة.[25] وعلى الرغم من أن هذا الطريق تم افتتاحه في بداية القرن التاسع عشر، كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الحركة التجارية عبر هذا الطريق لم تشهد استقراراً إلا بعد منتصف القرن، حوالي عام 1860، وذلك بسبب الاستقرار السياسي في واداي من جهة، ونمو الحركة السنوسية ورعايتها لهذا الطريق من جهة أخرى.[26] وقد بلغت الحركة التجارية مع واداي ذروتها خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث أشار الباحث الفرنسي ميج (Miege) إلى وجود معاملات تجارية ممتازة في بنغازي خلال عامي 1895- 1896، وأن أرباح تجار برقة كانت تصل إلى 600% بفضل تجارتهم عبر طريق واداي.[27]

---

[17] (؟) رجب نصير الأبيض، **مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر**، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998، ص ص 78- 79.

[25] Abdallah Ali Ibrahim, **Government and Society in Tripolitania and Cyrenaica (Libya) 1835-1911, The Ottoman Impact**, Markaz Al-Jihad, Tripoli, 1989,P.262.

[26] Dennis D. Cordell, Op. Cit, PP. 23- 26.

[27] Jean Louis Miege, **La Libye Et Le Commerce Transsaharien Au xlxe siècle**, (in): Revue de l'occident Musulman et de la Mediterranee, Vol. 19, No.1, 1975, P. 143.

من الصعب الوصول إلى (تحديد كمي) لحجم التبادل التجاري بين جالو وواداي خلال القرن التاسع عشر، لأن أي محاولة في هذا الاطار لا تؤدي سوى إلى نتائج غير دقيقة، والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين، الأول أن احصائيات السلع الأوربية لا توجد إلا في ميناء بنغازي، وهذه الاحصائيات لا توجد بها وثائق احصائية تسمح بالتمييز بين السلع الأوروبية التي كانت تستخدم في الاستهلاك المحلي في جالو، وتلك التي يعاد تصديرها عبر الصحراء إلى واداي.[28] أما السبب الثاني فإن البضائع الأفريقية القادمة من واداي عبر واحة جالو لا تصل كلها إلى ميناء بنغازي، فهناك جزء كبير منها يتجه من جالو إلى مصر أو طرابلس مباشرة، وبالتالي فقد يكون حجم التجارة على هذا الطريق أعلى مما توحي به الأرقام الرسمية في بنغازي.[29] مع ذلك فإن ما يتوفر لدينا من مصادر ومن وثائق خاصة بتجار جالو، تعطينا حصيلة جيدة لعينة من المنتجات والبضائع المتبادلة بين جالو ووادي خلال تلك الفترة.

إن أغلب البضائع التي يتم نقلها من قبل التجار المجابرة بين بنغازي وواداي خلال القرن التاسع عشر، تتشابه مع البضائع المتبادلة على الطرق الصحراوية الأخرى، وقد كانت الصادرات إلى واداي تعتمد في جزء كبير منها على السلع والبضائع الأوروبية التي يستقبلها ميناء بنغازي، وهي تشمل في الغالب المنتجات القطنية البريطانية، من أقمشة وملابس، كذلك الحرير والكتان المستورد من فرنسا، والخرز الإيطالي، بالاضافة إلى سلع وبضائع أوروبية أخرى مثل: ورق الكتابة، والسكاكين، والمقاص، والإبر، والمسامير، والزجاج، والمرايا، والحلي الصغيرة، وخشب الصندل، والصابون، والشمع، والسكر، والشاي، والبن، فضلاً عن الأسلحة والذخائر التي كانت تعد من أهم البضائع المنقولة من بنغازي إلى واداي خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.[30]

كانت الأقمشة القطنية البريطانية تشكل المنتج الرئيسي المنقول من أسواق بنغازي إلى واداي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث كانت تجد اقبالاً كبيراً لدى التجار على طول الطريق إلى واداي، وقد أشارت التقارير القنصلية لعامي 1893 و 1894 أن المنتجات القطنية المصدرة من بنغازي إلى واداي قد بلغت حوالي 64% من إجمالي البضائع المصدرة إلى واداي.[31] مما يؤكد أن منتجات القطن البريطانية كانت تمثل مركز الصدارة من بين البضائع الأوربية التي يعاد تصديرها إلى أفريقيا من قبل تجار جالو، وذلك بسبب جودتها وزيادة الطلب عليها في أسواق واداي وأسواق السودان الأوسط بصفة عامة.

تأتي الأسلحة النارية في المرتبة الثانية من حيث أهميتها بالنسبة لأسواق واداي خلال القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من صعوبة تحديد التاريخ الذي استخدمت فيه البنادق في واداي لأول مره، إلا أن بعض المصادر تؤكد أن السلطان عبد الكريم صابون (1803-1813) كان أول سلطان يستورد الأسلحة النارية إلى واداي. وخلال النصف الثاني من

---

(28) Ibid, PP. 98-99.

(29) Dennis D. Cordell, Op. Cit, P. 21.

(30) A. Adu Boahen, **The Caravan Trade in the Nineteenth Century**, (in): Journal of African History, Vol. 3, No 2, 1962, P. 357 ; Glauco Ciammichella, Op. Cit, P. 29.

(31) Jean Louis Miege, Op. Cit, 148.

القرن التاسع عشر ازدادت أهمية الأسلحة والذخائر بالنسبة لأسواق واداي، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مقارنة كميات البنادق لدى ثلاثة من سلاطين واداي، حيث بلغت كمية الأسلحة في عهد السلطان محمد الشريف (1835- 1858)، 300 بندقية فقط، ثم ارتفع العدد في عهد السلطان علي سليك (1858- 1876) إلى 4000 بندقية، ليصل في عهد السلطان دودمورا (1901- 1909) إلى 10000 بندقية.[32] ويرجع السبب في حصول حكام واداي على هذه الأعداد الكبيرة من الأسلحة إلى علاقتهم بالسنوسية التي كانت تتحكم في التجارة عبر طريق واداي وأيضاً بسبب نشاط التجار المجابرة الذين كانوا يقومون بتهريب الأسلحة من بنغازي ومن مصر عبر الواحات إلى واداي.[33]

يعد السكر المستورد من فرنسا والنمسا من ضمن السلع المهمة التي يعاد تصديرها عبر القوافل التجارية إلى واداي، خاصة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فمنذ عام 1975 احتل السكر مكانة كبيرة بين السلع المعاد تصديرها إلى دواخل أفريقيا.[34] وقد أشارت التقارير القنصلية لعامي 1893 و 1894 إلى مغادرة (639) حِمل جمل (الحمل يعادل 423 رطلاً) من السكر من بنغازي إلى واداي.[35] وقد ارتبط هذا التطور في نسبة استيراد السكر واعادة تصديره إلى واداي بظهور واستخدام الشاي المستورد من بريطانيا، فقد ارتفعت نسبة استيراد الشاي إلى بنغازي من 15000 فرنك في عام 1875 إلى 37000 فرنك في عام 1885 أي بزيادة أكثر من الضعفين في حين انخفضت واردات البن خلال الفترة نفسها إلا حوالي النصف من 80000 فرنك إلى أقل من 40000 فرنك. ويرجع ذلك إلى نشاط التجارة البريطانية من جهة، وتقاليد الزوايا السنوسية من جهة أخرى، فقد كان شيوخ السنوسية يفضلون شرب الشاي على القهوة، الأمر الذي أدى إلى انتشار استخدامه بين جميع قبائل برقة وواداي وقد أشار نائب القنصل الفرنسي في بنغازي إلى أن زيادة واردات الشاي كانت تنمو بالتوازي مع توسع السنوسية وانتشارها.[36]

في المقابل كان التجار المجابرة خلال القرن التاسع عشر يجلبون من واداي الرقيق، والعاج، وريش النعام، بالاضافة إلى الإبل والجلود. لقد كان العاج مطلوباً طوال القرن، في حين صار الطلب على الريش مهماً بعد عام 1870 عندما أصبح مسايراً للموضة في أوروبا، وقد شكلت تجارة الرقيق الجزء الأكبر من صادرات الجنوب، إلا أن حجم وقيمة هذه التجارة لم يكن وارداً في الاحصائيات الرسمية في بنغازي، بسبب عدم شرعيتها، خاصة بعد قرار حظر تجارة الرقيق عام 1857. لذلك فإن هذه التجارة كانت تتم في سرية تامة، كما أن عدداً من العبيد لم يصلوا مطلقاً إلى بنغازي، بل توجهوا مباشرة من الكفرة وجالو إلى أسواق مصر.[37]

---

[32]) H. J. Fisher and V. Rowland, **Firearms in the Central Sudan**, (in): The Journal of African History, Vol.12, No. 2, (1971), pp.218- 223.

[33]) Ahmed Said Fituri, **Tripolitania, Cyrenaica, and Bilad as-Sudan: Trade Relations during the Second Half of the Nineteenth Century**, PH.D. University of Michigan, 1982, P. 137.

[34]) Jean Louis Miege, Op. Cit, P. 149.

[35]) Dennis D. Cordell, Op. Cit, P. 34.

[36]) Jean Louis Miege, Op. Cit, P. 149- 150.

[37]) Dennis D. Cordell, Op. Cit, P. 34.

من خلال الوثائق الخاصة بالتجار المجابرة يتبين أن سعر الرقيق المجلوب من واداي إلى جالو في عام 1882 كان يتراوح من 900 إلى 1550 قرشاً تركياً.[18] وعلى الرغم من أن هذه الوثائق لم تشر إلى جنس الرقيق المجلوب فإن هذا الاختلاف في الأسعار قد يكون الفارق بين الذكر والأنثى والمعروف أن سعر أنثى الرقيق دائماً أعلى من سعر الذكر.

ويلاحظ أن الإبل المجلوبة من واداي كانت تلقى رواجاً لدى التجار المجابرة، لأنها تعد وسيلة النقل الوحيدة في تجارة الصحراء، فقد ذكرت الوثيقة السابقة أنه تم جلب عدد من الإبل من واداي في عام 1882 بلغت قيمتها 12051 قرشاً، وكان التجار المجابرة يجلبون نوعين من الإبل يطلقون عليها اسم الإبل البرية، والعربية، ويبدو أن النوع الثاني كان أكثر رواجاً لدى التجار من الإبل البرية، لأن الجمل العربي أكثر فائدة في تجارة الصحراء، فحجمه وبنيته تساعده على أن يكون أكثر قدرة على تحمل التعب من الجمل البري، هذا بالاضافة إلى قدرته على حمل أوزان ثقيلة قد لا يستطيع الجمل البري حملها، ويتبين ذلك الفارق من خلال أسعارها التي تفوق أسعار الإبل البرية، التي تستعمل فقط في البريد بسبب خفتها وسرعتها، وقد أوضحت الوثيقة أن أعلى سعر للجمل العربي يصل إلى 1450 قرشاً، في الوقت الذي لا يتعدى سعر الجمل البري 500 قرش.[19] وتشير الوثائق الخاصة بتجار جالو أنهم كانوا يجلبون من واداي نوعين من العاج (سن الفيل)، السن السميكة (الغليظة)، وسعر الأقة منها تساوي خمسة ريالات بوطيرة، أيما يعادل 125 قرشاً تركياً، والسن الرقيقة، وسعر الأقة منها تساوي ثلاثة ريالات بوطيرة، أيما يعادل 75 قرشاً. وعلى الرغم من أن ريش النعام كان يصنف في الأسواق الليبية إلى ثلاثة أنواع، هي الأبيض، والرمادي، والأسود، فإن التجار المجابرة كان لهم تصنيف خاص لهذه السلعة، وهي: الريش العوامي، وهو أجودها وأكثرها قيمة، ويبلغ سعر الأقة منه 11089 قرشاً تركياً، ويأتي بعده الريش العادي (الأنتيكة) ويصل سعر الأقة منه إلى 2416 قرشاً، وأخيراً الريش الأزرق (الأسود)، وهو أقلها جودة، ولا تتجاوز سعر الأقة منه 682 قرشاً.[20]

على أي حال فقد استمرت حركة التبادل التجاري بين واداي وجالو طوال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، في الوقت الذي تدهورت فيه تجارة طرابلس وفزان مع وسط وغرب السودان، خاصة في ثمانينات القرن التاسع عشر، بسبب نشاط جنوب أفريقيا في تجارة ريش النعام، وقيام بريطاني وفرنسا باستبدال القوافل عبر الصحراء بالمواصلات البحرية المرتبطة مباشرة بغرب أفريقيا وجنوبها، وكذلك بسبب الاضطرابات التي حدثت في برنو نتيجة احتلالها من قبل رابح الزبير عام 1893، بالاضافة إلى قيام الدولة المهدية في السودان عام 1885 والتي أغلقت طريق درب الأربعين المؤدي إلى أسيوط، مما أجبر القوافل على نقل بضائعها عبر طريق واداي- جالو.[41]

أما بالنسبة للحركة التجارية بين جالو ومصر خلال القرن التاسع عشر، فهي أيضاً كانت تمثل أهمية كبيرة بالنسبة للتجار المجابرة، فهم من أكثر التجار نشاطاً على طريق

---

[18](؟) الدفتر السابق، وثيقة توضح جلب عدد من الإبل والرقيق من واداي، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.

[19](؟) الدفتر السابق، الوثيقة السابقة.

[20](؟) الدفتر السابق، وثيقة توضح كمية من العاج وريش النعام المجلوب من واداي، بتاريخ 1297هـ/ 1880م.

[41]) Glauco Ciammichella, Op. Cit, PP. 30- 31.

مصر، حيث كانوا ينقلون إلى مصر ما كانت تجلبه قوافلهم من أنواع البضائع القادمة من واداي، ويجلبون إلى بنغازي وواداي أهم البضائع المصرية.[21] وقد ذكر الرحالة المصري أحمد محمد حسنين أن الطريق بين أوجلة والجغبوب كان وقفاً على رجال قبائل المجابرة والزوية الذين كانت لهم علاقات جيدة مع شيوخ الحركة السنوسية، ولا يجروء على اجتيازها غيرهم من رجال القبائل الأخرى إلا بإذن منهم.[22]

استفادت مصر كثيراً من نشاط التجار المجابرة مع المناطق الأفريقية في واداي وبرنو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، خاصة فيما يتعلق بتجارة الرقيق، وقد أدرك محمد علي (1805- 1848) حاكم مصر أهمية هذه التجارة عبر واحات برقة، فأرسل أحد التجار وكيلاً له ليقوم بشراء كل ما يستطيع جمعه من الرقيق، وكان هذا الوكيل هو أحمد الغربي شقيق محمد الغربي وكيل تجار طرابلس الغرب في مصر. وتشير بعض المصادر أن عدد الرقيق الذي جلبه محمد علي عن طريق وكيله أحمد الغربي قد بلغ في الفترة من أكتوبر 1822 إلى سبتمبر 1825 حوالي 1531 عبداً بمبلغ إجمالي قدره 1685812 قرشاً تركياً،[23] وقياساً على هذه الأرقام فإن متوسط عدد الرقيق المصدر إلى مصر كان حوالي 510 عبد في السنة الواحدة.

وعلى الرغم من صدور قوانين تحرم بيع الرقيق ودخوله إلى مصر في عام 1854 من قبل سعيد باشا حاكم مصر، فقد كان من الصعب مراقبة الطريق التجاري مع مصر، وذلك لتعدد المداخل الغربية لمصر واتساع الصحراء، لذلك استمر تهريب الرقيق إلى مصر بطرق ملتوية، حيث أشارت الوثائق المصرية إلى تعقب قافلة قادمة من برقة وضبطها في يونيو 1863 عند حدود الجيزة، وكان بها 120 من الرقيق مابين ذكور وإناث.[24]

على أي حال فإن مصر خلال القرن التاسع عشر كانت تعتمد اعتماداً كبيراً في مواردها على طريق برقة، حيث كان الرقيق والعاج وريش النعام وغيرها من سلع السودان تأتي من واداي وبرنو عابرة الصحراء شمالاً إلى واحات جالو وأوجلة حيث يوزع جزء منها في أسواق بنغازي، ويتجه جزء كبير شرقاً إلى مصر عبر واحة الجغبوب وسيوة حتى يصل إلى القرى الصغيرة في منطقة الاهرامات خارج القاهرة، وقد خضعت التجارة في هذا الطريق لرقابة تجار برقة، لاسيما المجابرة تجار واحة جالو، الذين تمكنوا من ربط التجارة بين واداي وبرقة من جهة، وبين برقة ومصر من جهة أخرى. وفي عام 1860 انتعشت المنطقة المصرية التي ينتهي عندها هذا الطريق، حيث لاحظ بعض المراقبين الأوروبيين في مصر أنه بحلول عام 1871 قامت نقطة جديدة لتسويق السلع الأفريقية في كرداسة.[25]

---

[21](?) عمر علي بن إسماعيل، **التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا 1835- 1882**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1972، ص 182.

[22](?) أحمد محمد حسنين، المرجع السابق، ج1/ ص 63.

[23](?) عماد أحمد هلال، **الرقيق في مصر خلال القرن التاسع عشر**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص ص 40- 42؛ غباشي عامر العليمي، **مسألة الرق وتجارته في ممتلكات مصر الأفريقية 1820- 1863**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2001، ص 38.

[24](?) عماد أحمد هلال، المرجع السابق، ص ص 343- 348.

[25](?) تيرنس والاس، **تجارة القوافل بين ليبيا ومصر: دور عبد الله الكحال**، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الثالثة، العدد الأول، 1981، ص 89.

شهدت حركة التجارة بين جالو ومصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر أوج نشاطها، وذلك بسبب تعطيل الدولة المهدية للحركة التجارية بين مصر والسودان، وتوقف المرور على طريق درب الأربعين منذ عام 1885، مما أدى إلى تحول جزء كبير من تجارة السودان إلى برقة في الشمال الغربي، وترتب على ذلك زيادة حجم التبادل التجاري بين واحات برقة ومصر، في محاولة لتعويض السلع التي كانت ترد إلى الأسواق المصرية عبر السودان.[47]

على الرغم من عدم وجود احصائيات رسمية لحجم التجارة بين جالو ومصر خلال تلك الفترة، فإن بعض الوثائق التي تخص بعض التجار المجابرة في واحة جالو أكدت على ازدياد حجم السلع المتبادلة مع مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ويبدو أن السلطان يوسف (1876- 1898) كان له دور بارز في هذه التجارة، فقد أشارت احدى هذه الوثائق والتي ترجع إلى عام 1880 أن هذا السلطان قد بعث بكمية من ريش النعام وسن الفيل (العاج) لتصريفها في أسواق برقة، وكلف أحد كبار التجار المجابرة وهو الحاج محمد فتيتة المكيسري أن يخرج من إجمالي مبيعات الريش والعاج مبلغ 255000 قرش تركي ويذهب إلى أسواق القاهرة ليشتري من هناك بعض السلع والبضائع التي يحتاجها السلطان في واداي.[26]

ومن خلال الإطلاع على الوثائق الخاصة بالتجار المجابرة، يمكن أن نتعرف على أنواع البضائع والسلع التجارية التي تجلب من مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث أشارت هذه الوثائق إلى جلب التجار المجابرة بعض الأدوات والأواني النحاسية مثل: القدور، والأباريق (السخاخين)، والأواني النحاسية التي تستعمل لملء الماء (الطشط)، وصفر الشاي، والأكواب النحاسية، بالاضافة إلى بعض التحف المنزلية المصنوعة من النحاس. كما أشارت الوثائق إلى استيراد الملابس والأقمشة من مصر، مثل: القبعات (الطواقي)، والفوط، بالاضافة إلى خامات القطن الإسكندراني والصوف الأبيض، والحريري، فضلاً عن الكتب الدينية مثل: كتاب إظهار الحق، وكتاب ترهة المجالس، وكتاب تنبيه الغافلين، وغيرها، وكذلك بعض أنواع السلع الغذائية مثل: السكر، والشاي، والبن، والفلفل، بالاضافة إلى بضائع مختلفة مثل: العطور بأنواعها، والمطارق، ومسنات الجلد، والفنارات (المصابيح القديمة)، والخيام، والموازين، والساعات، ونظارات العيون، وأسبحة الذهب.[27]

رابعاً: أبرز التجار المجابرة خلال القرن التاسع عشر:

أصبح التجار المجابرة منذ بداية القرن التاسع عشر من أشهر تجار القوافل الصحراوية في ليبيا بشكل عام، وبرقة على وجه الخصوص، ورغم أن مشاركتهم في التجارة سبقت افتتاح طريق برقة - واداي المباشر، حيث عمل عدد كبير منهم في التجارة مابين فزان ومصر منذ القرن الثامن عشر، إلا أن نشاطهم التجاري توسع أكثر

---

(47) Dennis D. Cordell, Op. Cit, PP. 21- 22; Jean- Louis Miege, **Le Commerce Transsaharien au xixe siècle Essai de quantification**, (in): Revue de l'occident Musulman et de la Mediterranee, Vol. 32, No. 1, 1981, P.103.

[26](?) الدفتر السابق، وثيقة توضح تكليف السلطان يوسف لبعض التجار المجابرة لشراء بعض السلع من أسواق بنغازي وطرابلس والقاهرة، بتاريخ 1297هـ/ 1880م.

[27](?) الدفتر السابق، قائمة ببعض السلع والبضائع التجارية المجلوبة من مصر، د.ت.

مع افتتاح هذا الطريق في بداية القرن التاسع عشر، فقد ذكر ناختيجال أنه منذ بداية المرور على الطريق المذكور أصبحت تجارة الساحل الشمالي مع واداي في معظمها في أيدي التجار المجابرة سكان جالو[50].

لقد كانت للتجار المجابرة مقدرة فائقة مسلم بها من جميع الرحالة على تحمل متاعب السفر، وإتقان تجارة القوافل بشكل تام، وكان لحياة السفر التي اعتادوها أثر كبير في تكييف معيشتهم، فهم تعودوا على حياة الترحال، وعملوا على تربية أبنائهم على ذلك[51]، وفي هذا الصدد يقول الرحالة هاملتون إن المجابرة يبتدءون في أعمار مبكرة للتدريب على حرفة التجارة، وذلك بقيامهم برحلات إلى بنغازي، ثم يتبعون ذلك برحلات لمسافات أطول إلى مصر أو فزان[52]، وقد وصفهم الرحالة رولفس بأنهم أفضل رجال التجارة في عموم الصحراء، وأن لديهم اعتمادات تجارية في كل مكان سواء في بنغازي وطرابلس أو مصر أو في واداي وبرنو وبلاد الهوسا، وإلى جانب الغدامسية (تجار واحة غدامس) يعتبرون أشجع التجار وأكثرهم مقدرة على ارتياد المناطق البعيدة[53]، ويضيف الرحالة المصري أحمد حسنين أنهم (شيوخ تجار صحراء ليبيا)، ولهم ميل غريب للتجارة إلى درجة أن الرجل منهم يفخر بأن أباه مات فوق سرج جمله كما يفخر ابن الجندي بأن أباه مات في ميدان القتال[54].

ومنذ وصول الطريقة السنوسية إلى برقة وهيمنتها على طرق التجارة العابرة للصحراء في منتصف القرن التاسع عشر، ربط تجار جالو مصيرهم بالطريقة وارتموا في أحضانها وأصبحوا من أعضائها، وبذلك كانوا المستفيدين الأوائل من هيمنة الطريقة على تجارة الصحراء، وأصبح المجابرة بطريقة ما الوكلاء التجاريين للجماعة السنوسية، إلى حد أن بعضهم وصل إلى مكانة مرموقة، حيث تولى أحدهم[55] منصب الوكيل الرسمي والشخصي لزعيم السنوسية في واداي[56].

ويبدو أن ارتباط المجابرة بالسنوسية وبطريق التجارة مع واداي جعلهم دائماً يتحفظون تجاه كل من أراد السفر إلى واداي من الرحالة الأجانب عن طريق جالو- الكفرة خوفاً على مصالحهم التجارية، فقد ذكر رولفس عند وصوله إلى واحات أوجلة وجالو خلال رحلته في عام 1879، أن أهالي الواحات وخاصة المجابرة أظهروا تحفظاً تجاهه خوفاً من أن تفكيره بالسفر إلى واداي قد يلحق الضرر بعلاقاتهم التجارية مع هذه البلاد، لدرجة إنهم رفضوا توفير دليل له للوصول إلى واداي إلا إذا جاءهم أمر من شيخ الطريقة السنوسية في الجغبوب المهدي السنوسي[57].

---

(50) جوستاف ناختيجال، المصدر السابق، مج1/ ص 249.

(51) مصطفى عبد الله بعيو، **دراسات في التاريخ اللوبي**، مطابع عابدين، الإسكندرية، 1953، ص 205.

(52) جيمس هاملتون، المصدر السابق، ص215.

(53) غيرهارد رولفس، المصدر السابق، ص 210.

(54) أحمد محمد حسنين، المرجع السابق، ج1 / ص97.

(55) هو التاجر المجبري المشهور محمد فتيتة المكسيري الذي أشرنا إليه سابقاً.

(56) Gianni Albergoni, **Les Bedouins et Les Echanges: La Piste Introuvable**, (in): Cahiers des Sciences Humaines, Vol. 26, No. 1-2, 1990, P. 208.

(57) غيرهار رولفس، **رحلة إلى الكفرة**، ت: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000، ص ص 285، 289.

أصبح نفوذ التجار المجابرة في التجارة عبر طريق واداي وطريق مصر أمراً مؤكداً خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، إذ وصف نائب القنصل البريطاني هندرسون واحة جالو أثناء زيارته لها عام 1870 بأنها: " نقطة الانطلاق الرئيسية لقوافل عديدة من وإلى واداي وبرنو، ومركز لتجارة كبيرة وقيمة، وإن جميع سكانها ميسورو الحال، وكثير منهم أثرياء"[58]. وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر ازداد نفوذ التجار المجابرة في التجارة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال القائمة التي قدمها برتراند(Bertrand) نائب القنصل الفرنسي في بنغازي والتي تبين عدد التجار الذين كان لهم النصيب الأكبر في التجارة مع واداي خلال عام 1896، حيث بلغوا 44 تاجراً من بينهم 10 من طرابلس، و6 من بنغازي، و 28 من المجابرة[59]، الأمر الذي يؤكد سيطرة التجار المجابرة وهيمنتهم على الحركة التجارية مع واداي.

وبناء على ذلك فقد برز عدد كبير من التجار المجابرة الذين عرفوا بنشاطهم التجاري مع واداي ومصر في منتصف القرن التاسع عشر، من أشهرهم: علي بن حويل، ويونس البشاري، ومحمد الديهومي، وعبد الله المصري، وعبد النبي المصري، والحاج عبد الرحمن العلافي، والحاج مفتاح بن خالد، وعيسى فائز، وعبد الرحمن الحمر، والحاج خليل الحدودي وعلي الحدودي وخليل تبوزر، والحاج أحمد بن شيكان،[60] أما في الربع الأخير من القرن التاسع عشر فقد اشتهر منهم: الحاج محمد فتيتة المكيسري وعبدالله البشاري ومحمود بودجاجة، ومحمد طاهر بوصفيطة، وحمد الوريدي ومحمد يونس، وغيرهم.[61]

كان الحاج محمد فتيتة المكيسري من أكبر التجار المجابرة نشاطاً في تجارة القوافل الصحراوية في ليبيا خلال القرن التاسع عشر، وقد عرف بعلاقاته التجارية المميزة مع واداي ومصر، وبرغم أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه كان يتمتع بخبرة تجارية كبيرة، وكانت له دراية واسعة بأمور القوافل والأسواق وتبادل السلع، كما كانت تربطه صلات وعلاقات اجتماعية واسعة مع أهالي الواحات والمناطق التي كان يتاجر معها، وقد اتصف بالمروءة والكرم، وقيل أنه كان صاحب ثروة كبيرة، ودلالة على ذلك فقد روي أنه في عام 1880 بينما كان راجعاً من تجارته في مصر إلى بنغازي، تصادف أن تعرضت برقة في ذلك العام لموسم جفاف، وبالتالي جاء الإنتاج الزراعي ضعيفاً، مما اضطر الوالي أحمد عزت باشا (1879- 1881) إلى اقتراض مبلغ من المال من كبار التجار وأصحاب رؤوس الأموال، لتغطية بعض المصاريف العسكرية والإدارية، وكانت العملة المتداولة في البلاد آنذاك، ريال بوطيرة (ماريا تيريزا)، والذي يعادل 25 قرشاً عثمانياً، والريال المجيدي ويعادل 21قرشاً، فجاء الحاج فتيتة مع جملة من التجار وتبرعوا للحكومة، حيث قدم فتيتة كيساً من النقود يحتوي على 500 ريال بين مجيدي وبوطيرة على سبيل التبرع والإعانة، وليس على سبيل الإقراض، وقد حذا حذوه بعض التجار المجابرة بتقديم مبالغ مالية لخزينة الحكومة في بنغازي.[62]

---

(58) Ahmed Said Fituri, Op. Cit, P.161.

(59) Glauco Ciammichella, Op .Cit, P.36.

(60) محمد بشير سويسي، **تجارة الرقيق في شرقي ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة العشرون، العدد الأول، 1998، ص ص 105– 107.

(61) تيرنس والاس، المرجع السابق، ص ص 95، 106.

(62) عمر باشا منصور، **إبراهيم فتيتة المكيسري المجبري**، جريدة برقة الجديدة، مكتب النشر، 31 أغسطس، 1949، ص3.

ارتبط الحاج فتيتة بصلات وثيقة مع شيوخ الحركة السنوسية في الجغبوب والكفرة، الأمر الذي سمح له بتوثيق علاقاته مع بعض التجار الكبار في مصر مثل التاجر السوري عبد الله الكحال الذي عرف بتجارته الواسعة بين مصر والسودان[63]، كما كانت تربط فتيتة علاقات وثيقة مع بعض سلاطين واداي، وخاصة السلطان يوسف (1876– 1898) الذي كان يوكل الحاج فتيتة على تجارته في بنغازي ومصر[64]، وبفضل علاقاته وخبرته الواسعة بالممالك التشادية فقد كان من ضمن الشخصيات التي رافقت السيد المهدي السنوسي في رحلته من الكفرة إلى تشاد، كما أرسله المهدي عام 1901 ضمن وفد يضم السيد خالد موسى للمصالحة بين سلطان واداي المخلوع أحمد الغزالي والسلطان المتوج محمد صالح (دودمورا)[65]، وفي عام 1902 أصبح الممثل الرسمي للسنوسية في أبشة عاصمة واداي، وهذا الاختيار لم يتم بمحض الصدفة، فقد كان فتيتة قادراً على القيام بمهامه بوصفه وسيطاً سياسياً ومشرفاً تجارياً في آن واحد، لقد وصف بأنه رجل ذكي كثير السفر والترحال، وفي الوقت نفسه يعد واحداً من التجار الأكثر نفوذاً من بين تجار برقة[66].

الخاتمة:

يتضح مما تقدم أن واحة جالو لعبت دوراً رائداً في حركة التجارة الداخلية والخارجية خلال القرن التاسع عشر، سواء بفضل موقعها الجغرافي الذي يربطها بعدد من الطرق التجارية المتشابكة، أو بفضل نشاط تجارها المجابرة الذين عرفوا بمهارتهم وقدرتهم في هذا المجال. ومن خلال دراسة موضوع هذا البحث يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

1- يمثل افتتاح الطريق المباشر بنغازي- جالو- الكفرة- واداي في بداية القرن التاسع عشر منعطفاً هاماً في تاريخ التجار المجابرة في جالو ونشاطهم التجاري عبر الصحراء، فمن جهة أصبحوا يمارسون نشاطهم التجاري مع أسواق واداي وبرنو مباشرة دون وسطاء من تجار فزان، الذين كانوا يتحكمون في التجارة عبر الطريق القديم، ومن جهة أخرى قلص هذا الطريق المسافة، وبالتالي انخفضت تكاليف النقل، وزادت الأرباح، وارتفعت نسبة الصادرات والواردات.
2- إن انتقال مقر الادارة والحكم في منطقة الواحات من أوجلة إلى جالو بعد مقتل الشيخ إبراهيم الفضيل الأوجلي على يد المجابرة في نهاية عهد يوسف باشا القرمانلي، يعد من أهم الأسباب التي نتج عنها انتقال مركز النشاط التجاري في منطقة الواحات من أوجلة إلى جالو.
3- إن العلاقات الوثيقة التي ربطت التجار المجابرة في جالو بشيوخ الحركة السنوسية من جهة، والعلاقات التي ربطتهم بسلاطين واداي من جهة أخرى، كان لها أكبر الأثر في هيمنة المجابرة على النشاط التجاري عبر هذا الطريق طوال القرن التاسع عشر.

---

(63) تيرنس والاس، المرجع السابق، ص ص 100 – 101.

(64) الدفتر السابق، وثيقة توضح تكليف السلطان يوسف لبعض التجار المجابرة لشراء بعض السلع من أسواق بنغازي وطرابلس والقاهرة، بتاريخ 1297هـ/1880م.

(65) محمد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947، ص 244.

(66) Glauco Ciammichella, Op. Cit, P.36.

4- تبين أن تجار جالو كانوا يعتمدون على أسواق بنغازي اعتماداً كبيراً في الحصول على العديد من السلع والبضائع التجارية، سواء تلك التي تستهلك في التبادل التجاري الداخلي، أو تلك التي يعاد تصديرها إلى الأسواق الأفريقية عبر الصحراء.

5- إن قيام الثورة المهدية في السودان بتعطيل الحركة التجارية عبر طريق درب الأربعين بين مصر والسودان عام 1885، كانت له نتائج ايجابية على الحركة التجارية بين جالو ومصر، إذ تحول جزء كبير من تجارة السودان إلى جالو في الشمال الغربي، ومنها إلى مصر في الشرق، وبالتالي زاد حجم الصادرات والواردات بين جالو ومصر.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: وثائق خاصة:

- وثائق دفتر خاص بالتاجر محمد فتيتية (جالو):

- وثيقة توضح تكليف السلطان يوسف لبعض التجار المجابرة لشراء بعض السلع من أسواق بنغازي وطرابلس والقاهرة، بتاريخ 1297هـ/ 1880م.
- وثيقة توضح كمية من العاج وريش النعام المجلوب من واداي، بتاريخ 1297هـ/ 1880م.
- وثيقة توضح بعض البضائع المجلوبة من واداي، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.
- وثيقة توضح جلب عدد من الإبل والرقيق من واداي، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.
- وثيقة توضح سلع تجارية مجلوبة من بنغازي إلى جالو، بتاريخ 1299هـ/ 1882م.
- قائمة ببعض السلع والبضائع التجارية المجلوبة من مصر، د.ت.

ثانياً: مراجع وأبحاث باللغة العربية:

- أحمد محمد حسنين، **في صحراء ليبيا**، الجزء الأول، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت.

- تيرنس والاس، **تجارة القوافل بين ليبيا ومصر- دور عبد الله الكحال**، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الثالثة، العدد الأول،1981.

- جان ريمون باشو، **رواية رحلة إلى بلاد مرمرة وبرقة وواحتي أوجلة ومرادة**، ت: مفتاح عبد الله المسوري، دار الجبل، بيروت، 1999.

- غوستاف ناختيجال، **الصحراء وبلاد السودان – الكتاب الأول: طرابلس وفزان– تيبستى أوتو**، ت: عبد القادر مصطفى المحيشى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007.

- جيمس هاملتون، **جولات في شمال أفريقيا**، ت: المبروك محمد الصويعي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.

- رجب نصير الأبيض، **مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن 19**، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998.

- عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا**، الجامعة المصرية، الإسكندرية، 1971.

- عماد أحمد هلال، **الرقيق في مصر خلال القرن التاسع عشر**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

- عمر باشا منصور، **إبراهيم فتيتة المكيسري المجبري**، جريدة برقة الجديدة، مكتب النشر، 31 أغسطس، 1949.

- عمر على بن إسماعيل، **التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا1835-1882**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1972.

- غباشي عامر العليمي، **مسألة الرق وتجارته في ممتلكات مصر الأفريقية 1820-1863**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2001.

- غيرهارد رولفس، **رحلة إلى الكفرة**، ت: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000.

- ـــــــــ، **رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية**، ت: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002.
- فرانشيسكو روفيري، **عرض للوقائع البرقاوية – التاريخ الكرونولوجي لبرقة (1551-1911)**، ت: إبراهيم أحمد المهدوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003.
- فردريك هورنمان، يوميات الرحالة فردريك هورنمان: الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1798، ت: مصطفى محمد جودة، دار الفرجاني، طرابلس، 1993.
- كالوجيرو بيازا، **إحصاءات عن تجارة بنغازي خلال عام 1828**، ت: محمد مصطفى الشركسي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية والعشرين، العدد الأول، 1999.
- محمد بشير سويسي، **تجارة الرقيق في شرقي ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة العشرون، العدد الأول، 1998.
- محمد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947.
- محمد مصطفى بازامة، **بنغازي عبر التاريخ**، دار ليبيا، بنغازي، 1968.
- مصطفى عبد الله بعيو، **دراسات في التاريخ اللوبي**، مطابع عابدين، الإسكندرية، 1953.

<u>ثالثاً: مراجع وأبحاث باللغات الأجنبية:</u>

- A. Adu Boahen, **The Caravan Trade in the Nineteenth Century**, (in): Journal of African History, Vol. 3, No. 2, 1962.
- Abdallah Ali Ibrahim, **Government and Society in Tripolitania and Cyrenaica (Libya) 1835-1911, the Ottoman Impact**, Markaz Al-Jihad, Tripoli, 1989.

- Ahmed Said Fituri, **Tripolitania, Cyrenaica, and Bilad as Sudan: Trade Relations during the Second half of the Nineteenth Century**, PH.D, University of Michigan, 1982.
- Dennis D. Cordell, **Eastern Libya, Wadai and the Sanusiya: A Tariqa and a Trade Route**, (in): the Journal of African History, Cambridge University press, Vol.18, No.1, 1977.
- E.E. Evans. Pritchard, **The Sanusi of Cyrenaica**, Clarendon Press, Oxford, 1949.
- F.Minutilli, **LA Tripolitania,** Fratelli Bocca Editori, Torino, 1902.
- Gianni Albergoni, **Les Bedouins et les Echanges: La Piste Introuvable**, (in): Cahiers des Sciences Humaines, Vol. 26, No. 1-2, 1990.
- Glauco Ciammaichella, **Libyens et Francais au Tchad (1897–1914): La Confrerie Senoussie et le Commerce Transsaharien**, Editions du Centre National de la Recherché Scientifique, Paris, 1987.
- H. J. Fisher and V. Rowland, **Firearms in the Central Sudan**, (in): The Journal of African History, Vol. 12, No. 2, 1971.
- Jean Louis Miege, **La Libye et le Commerce Transsaharien au xlxe Siecle**, (in): Revue de l'occident Musulman et de la Mediterranee, Vol. 19, No.1, 1975.
- ----------, **Le Commerce Transsaharien au xixe siècleEssai de quantification**, Revue de l'occident Musulman et de la Mediterranee, Vol.32, No.1, 1981.
- John Mason, **Desert Strongman in the East Sahara 1820 a Reconstruction of Local Power in the Region of Augila Oasis**, (in): المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، العدد 6، 1976.